4

الحاكم بوش يرشح نفسه للرئاسة

عندما كان جورج دبليو بوش حاكماً لولاية تكساس، كان يردد أنه يظن أن ذلك المنصب هو أفضل منصب في العالم. أميل جداً إلى الاعتقاد بأنه كان يعني ما يقوله؛ وعبر معرفتي الشخصية ببوش كما أعرفه الآن، فإنني أقدر السبب الذي حدا به إلى هذا القول.

الآن، من المهم أن نفهم أولاً أن حاكمية تكساس هي منصب ضعيف من الناحية الدستورية. والسبب في ذلك يعود إلى أن دستور سنة 1876، الذي كتب في نهاية مرحلة إعادة البناء، عندما كان أهالي تكساس ما يزالون يشعرون بالاستياء من الإدارة الجمهورية الأوتوقراطية المركزية التي فرضت عليهم بعد انتهاء الحرب الأهلية، قلص إلى حد كبير من سلطات الحاكم، وأدى إلى إنشاء حكومة ولاية لامركزية . وزع الدستور الجديد السلطات بين مجموعة من متبوئي المناصب المنتخبين بشكل مستقل، والمشَرّعين الذين يعملون بدوام جزئي. يحدد هذا المجلس التنفيذي الجماعي ما يستطيع أن يمارسه الحاكم من سلطات بشكل مستقل، وذلك لأن الموظفين الآخرين المنتخبين بدورهم بشكل مستقل أحرارٌ في ممارسة سلطاتهم بشكل مستقل، ومن الممكن أن لا يدعموا أجندته بشكل كامل.

مع ذلك، يحمل منصب حاكم ولاية تكساس في طياته تأثيراً لافتاً إذا كان الشخص الذي يتبوأ المنصب يعرف كيف يستعمل لغة الوعاظ التهديدية بشكل مؤثر. يتمتع حاكم الولاية أيضاً بحق الفيتو، بالإضافة إلى صلاحية تعيين عدد كبير من الأشخاص في مناصب مهمة وشهيرة داخل حكومة الولاية، بما في ذلك مجالس الجامعات، ولجان التشريع الرئيسة. كما أن له أن يدعو إلى عقد جلسات استثنائية للمجلس التشريعي الذي يلتئم بموجب نظام تكساس الفريد من نوعه (يمكن أن يطلق عليه بعضهم صفة الغريب)

في دورة واحدة مدتها أربعة أشهر ونصف تعقد مرة كل سنتين. ومن ضمن السلطات التي يمكن له ممارستها، تعيين كادر كبير، بالإضافة إلى صلاحيات وامتيازات أخرى مثل العيش في قصر، والتمتع بالحماية الأمنية واستخدام الطائرات التي تعود ملكيتها إلى حكومة الولاية. كما أنه يعد أرفع المناصب مكانة في الولاية، ويستحوذ على اهتمام وسائل الإعلام والاهتمام الشعبي أكثر من أي موقع آخر في الولاية.

كان هذا المنصب مناسباً جداً لأسلوب بوش الشخصي في الحكم. فهو شخص يستمتع بممارسة حياة كاملة ومتوازنة – وكمعظم السياسيين – فهو يعتبر أن وجوده بين الناس منشطاً ومحفزاً. كما أنه يقدر عالياً الانضباط والرتابة في وتيرة عمل برنامجه. وفرت له السلطة التي يتمتع بها عبر المنصب المقدرة على تنفيذ مشروعات مُرضِية وذات قيمة – ومن بينها التأثير الإيجابي في تقرير الوجهة التي تنحو نحوها الولاية. كان لساعات العمل الطبيعية والمحددة رونقها وامتيازاتها الخاصة بها، مما وفر له مرونة عظيمة كي يوازن بين العمل، والتمارين الرياضية، وأوقات الراحة.

يولي بوش أهمية كبيرة للتمارين الرياضية اليومية، وأعتقد أن علينا جميعاً أن نفعل ذلك. أذكر أحد الأيام سنة 1997، عندما كنت موظفاً في وكالة نهر كولورادو الأدنى، وكانت ساعات عملي محددة وطبيعية، حينها، وقبل أن أتعرض إلى إصابة في ركبتي، كنت أركض من ثلاثة إلى أربعة أميال يومياً. في ذلك اليوم، كنت قد أخذت استراحة الغداء لأمارس رياضة الجري بالقرب من ضفة بحيرة تاون ليك في مدينة أوستن. وبينما كنت أتمطى وأمشي بجانب البحيرة قبل البدء برياضة الجري، تجاوزني رجل من الجهة اليمنى مسرعاً وكان يعتمر قبعة ويضع على عينيه نظارات شمسية. ما كنت لألحظ تجاوزه لي إلا بالكاد، لولا أنه كاد أن يتعثر بي؛ وهو ما دفعني إلى الاستدارة لأتبين شخصيته. رأيت اثنين من الأشخاص يتبعانه على دراجتين جبليتين، وثالث يتبعه مشياً على قدميه. كان الشخص الذي يعتمر القبعة الحاكم بوش الذي كان يقفز في الهواء بعد انتهائه من رياضة الجري في ذلك اليوم، وكان الأشخاص الذين يمشون في إثره من حراسه.

كان بوش يحب ممارسة رياضة رفع الأثقال في مبنى الألعاب الرياضية المجاور، أثناء فترة استراحة الغداء عدة مرات في الأسبوع، وكان يمتلك اللياقة التي مكنته من

القيام بذلك. وفرت له المكانة التي حظي بها عبر موقعه فرصاً كثيرة للتواصل مع شرائح عريضة من الناس، خصوصاً الناس العاديين الطيبين من أهالي تكساس الذين كان بإمكانه الالتقاء بهم، وإلقاء التحية عليهم، والتوجه إليهم في خطاباته. أتصور أن غالبية الناس سيكونون سعداء بالاستمتاع في ممارسة مثل هذه الوظيفة المريحة جداً، والمهمة، وذات المكانة المرموقة، لو أتيحت لهم الفرصة.

تبين لي أن العمل في مكتب الحاكم بوش الذي بدأ في أوائل سنة 1999 مجزياً ويمثل في الوقت ذاته الكثير من التحديات. دائماً ما كانت هناك مناسبات أو قضايا تتوجب معالجتها، بما في ذلك حملته الانتخابية غير المعلنة حتى الآن لمنصب رئاسة الولايات المتحدة.

عبر موقعي بصفتي نائباً لمديرة الاتصالات، غالباً ما كنت على تواصل مع الحاكم بوش لأنني كنت أرد على استفسارات الصحافة، وأحضر المناسبات العامة معه في مدينة أوستن وكذلك في أرجاء الولاية، وأكتب التصريحات والبيانات الصحفية له، من بين واجبات عديدة أخرى. بدأت أتعرف عليه عن كثب أكثر فأكثر، شخصاً وزعيماً سياسياً، ونشأت بيننا بالتدرج علاقة تسودها الإلفة الشخصية.

على العكس من الحاشية الرئاسية، تسود حاشية الحاكم نوعاً من الحميمية، وتكون صغيرة إلى حد ما. وكان بوش يفضل أن تكون كذلك دائماً. لم يكن يتحمس لوجود كثير من الناس من حوله للاهتمام بشؤونه، والسير من ورائه، أو توجيهه إلى أين يذهب أو ماذا يقول. كان من المألوف في الرحلات التي قام بها عندما كان حاكماً للولاية أن يرافقه فقط مساعد شخصي، والناطق باسمه، واثنان أو ثلاثة من حراسه الأمنيين، وكانوا الأفضل من بين ضباط قسم السلامة العامة في ولاية تكساس.

هناك عدد من اللحظات التي ما زلت أذكرها جيداً خلال فترة الأشهر الستة التي قضيتها في مكتب الحاكم قبل أن ننطلق على العمل في الحملة الانتخابية الرئاسية.

في مكتب الاتصالات التابع للحاكم، واجهت للمرة الأولى قضية سياسية تتعلق بالحياة أو بالموت – عقوبة الإعدام. اتخذ الحاكم بوش موقفاً متشدداً حول مسألتي وقف تنفيذ

أحكام الإعدام أو تخفيف هذه العقوبة. كان يؤمن أن عقوبة الإعدام تساهم في إنقاذ حياة الأبرياء عبر تأثيرها الرادع. وكان يرى أنه إذا توفرت الفرصة الكاملة للمجرم المدان في المرور بكل مراحل المحكمة، وإذا أدانته المحكمة بصورة لا يرقى إليها الشك، فإن الحاكم لا يملك صلاحية تجاوز قرار المحلفين. على أي حال، كانت خياراته بموجب قانون الولاية محدودة وتتمثل في إيقاف مؤقت لتنفيذ العقوبة لا يتعدى الثلاثين يوماً، كما أن بإمكانه تخفيف العقوبة فقط إذا تلقى توصية للقيام بذلك من مجلس العفو وإطلاق السراح المشروط التابع لولاية تكساس (الذي يقوم الحاكم بتعيين أعضائه). كان عليّ كناطق باسم الحاكم أن أجيب على التساؤلات المتعلقة بقضايا محددة، وكذلك على أسئلة تتعلق بالطريقة التي يراجع فيها الحاكم هذه القضايا قبل المصادقة على حكم الإعدام.

تعرض جورج دبليو بوش إلى حملة واسعة من التمحيص أكثر من أي حاكم آخر لتكساس، وذلك بسبب أنه ابن رئيس سابق للولايات المتحدة، ومرشح محتمل لرئاسة الولايات المتحدة في المستقبل. كانت القضايا المتعلقة بعقوبة الإعدام من بين أكثر القضايا تعقيداً. تنفذ أحكام الإعدام في ولاية تكساس بمعدلات هي الأعلى بين كل ولايات الإتحاد؛ وقد تم تنفيذ 152 حكم بالإعدام في تكساس خلال فترة ولاية جورج بوش كحاكم للولاية؛ وهو رقم أثار الكثير من الجدل . كان من بين من نفذ فيهم الحكم بالإعدام عدد لا بأس به من المجرمين الذين كان معدل ذكائهم أدنى مما كان يُعتَبرُ في الغالب، العتبة التي تضعهم في حال أقرب إلى التخلف العقلي، بمن فيهم «كارلا في تاكر»، المسيحية التي ولدت من جديد، والتي شهدت قضيتها في سنة 1998 مناشدات لمنحها العفو من البابا يوحنا بولس الثاني، ومن محافظين شهيرين مثل نيوت غينغريتش وبات روبرتسون.

على أي حال، ربما كانت عقوبة الإعدام القضية المهمة الأولى التي كان عليّ التعامل معها بشكل مباشر مع وسائل الإعلام، والتي كان موقفي الشخصي بشأنها لا ينسجم مع موقف جورج بوش. ففي الوقت الذي أؤمن تماماً بضرورة اتخاذ موقف صارم من الجريمة، كانت دائماً تنتابني الشكوك حول عقوبة الإعدام. وكان رأيي ينطلق من أساس أخلاقي. تزعجني جداً فكرة أن يسقط شخص بريء ضحية هذا النظام، وأن تطبق عليه عقوبة الإعدام بسبب جريمة لم يرتكبها. أؤمن بأن عقوبة السجن المؤبد المترافقة

obeikandl.com

بعـدم إمكان إطلاق السـراح، والتي تعزل المجرمين المدانين عن المجتمع يمكن لها تحقيق الهـدف نفسه -عبر إبعاد هذا الشخص مـرة وإلى الأبد، عن إمكان إيذاء شخص بريء آخـر- من دون إجبار المجتمع على القيام بدور أعتقد أنه ليس من حقه أن يمارسه. يجب أن يعـزل المجـرم المدان في مكان انفـرادي من سجن تكون فيه المراقبـة صارمة، ويعامل بشـيء من الإنسانية، ولكن بحقوق أقل بكثير من تلـك التي يتمتع بها أفراد المجتمع. كما أتسـاءل، كما فعلت العديد من الدراسات على مر السنـين، فيما إذا كان لعقوبة الإعدام أي تأثير ردعي.

كي أكون واضحاً، أنا لست ضد تطبيق عقوبة الإعدام بالمطلق. إذا كانت هناك قضية تستدعـي تطبيق هذه العقوبة، فإنـه يجب تطبيقها على مرتكبي الهجوم في الحادي عشر مـن أيلـول، سبتمبر. القضية بالنسبة لي هي من التعقيـد بحيث لا يمكن النظر إليها من منظـار الأبيض مقابل الأسـود. ولكن لدي شكوك كثـيرة حولها، تمامـاً كالشكوك التي سأشعـر بهـا لاحقاً حيال ضرورة شن حـرب على العراق (وهي أيضـاً سياسة ذات صلة بمسألـة الحيـاة أو الموت)، عندما طلب إليّ بوصفي ناطقاً رسمياً القيام بالدفاع عن هذا الموقف بالرغم من تأنيب الضمير الذي عانيت منه بشأن هذا الموضوع أيضاً.

لم أعـبر علنـاً عن شكوكي حول جـدوى عقوبة الإعدام. في المحصلـة، كنت أعبر عن قناعـات الحاكـم، وليس عـن قناعاتي حـول الموضـوع. كان لا يتوانى عـن إعلان دعمه لتطبيـق عقوبة الإعدام، وكان هذا موقفاً سبق له أن أعلن عنه عندما كان يخوض حملته الانتخابيـة لفوز بمنصب الحاكم، والذي أيدتـه فيه الغالبية العظمى من أهالي تكساس. أكـثر من ذلـك، كانت عقوبة الإعدام جزءاً من قانون الولاية. وإذاً، حتى لو رغب الحاكم في عدم إعطاء الموافقة على تنفيذه، فلا بد له مع ذلك، من الالتزام بتطبيق قوانين ولاية تكساس بأمانة. لهذه الأسبـاب مجتمعة، خاطبت نفسي قائـلاً إن شكوكي الشخصية لا تقـدم ولا تؤخر. أصدرت تصريحات باسم الحاكم بوش مدافعاً فيها عن موقفه، ورددت علـى اللغط الذي أثارته هذه القضية بالطريقة التي أرادها بوش. وهذا بالضبط ما يقوم به الناطق الرسمي.

هناك أيضاً لحظة جديرة بأن يتوقف المرء عندها؛ وتتعلق بقانون أكثر صرامة ويتعلق بقيادة السيارة تحت تأثير المسكرات تمت المصادقة عليه في ولاية تكساس. بعد قيام قياديات لجنة «الأمهات المناهضات للسائقين المخمورين» بحملة مركزة لفرض هذا القانون، وافق مشرعو ولاية تكساس على إصدار قانون سنة 1999 أصبح بموجبه الحد الأدنى المطلوب من نسبة الكحول في الدم 0.8 بدلاً من 0.10. أذكر حينها أنني اقترحت على كارن هيوز أن من المستحسن الترتيب لاحتفال علني للتوقيع على هذا القانون، بحيث يمكن للحاكم أن يؤكد على أهمية القانون الجديد. أجابت كارن: «لا أعتقد أنه سيقوم بأي شيء في العلن حول هذا الموضوع. لا أدري بالضبط ما هو السبب، إلا أنني أظن أن الأمر له علاقة بماضيه».

وجدت إجابتها وجيهة، لكنني لم أتوقف عندها كثيراً في ذلك الوقت. لست متأكداً لماذا، بالضبط؛ ربما لأن الصحف التي تهتم بالشؤون اليومية لم تعر الأمر اهتماماً كبيراً، إلى حين وقوع أحداث قبل يوم الانتخابات سنة 2000 جعلتني أتذكر الحوار الذي دار بيني وبين كارن، وأفكر بالموضوع من زاوية جديدة.

عموماً، كانت تجربتي في مكتب الحاكم جيدة. تعلمت الكثير عن الحكومة، والسياسة، وفن الاتصال. مددت يد المساعدة لإدارة كانت تعطي نتائج جيدة لولاية تكساس وشعبها بعيداً عن الروح الحزبية. كما كنت ألعب دوراً مفيداً في مهنة سياسي واعد يعده العديد من الناس رئيساً مستقبلياً محتملاً للولايات المتحدة. كل ذلك كان أمراً مثيراً وحماسياً.

استمتعت ببعض اللحظات الرائعة من الوفاق الشخصي مع بوش، عندما كنا على متن طائرة صغيرة نجلس لوحدنا في مقدمة الطائرة، أو نتجاذب أطراف الحديث في مكتب الحاكم. حدثت واحدة من اللحظات المفضلة في اليوم الذي كنت أول الواصلين إلى اجتماع لمراجعة القوانين التي تم إقرارها في جلسة المجلس التشريعي، والتي يمكن للحاكم أن يستخدم حق النقض، (الفيتو) لإسقاطها. وبحكم وصولي باكراً، دعاني الحاكم إلى المطبخ حيث كان يحضر لنفسه واحدة من الوجبات المفضلة لديه وهي شطيرة مكونة من زبدة الفستق والمربى. كان يلبس قميصاً قصير الكمين، أبيض اللون

obeikandi.com

وســرو الاً من الجينز، وكان حــافي القدمين؛ سألني فيما إذا كنت أرغب بتناول شطيرة. أجبت: بالتأكيد. أعدَّ واحدة لي، وتحدث إليّ عن جملة من الموضوعات المختلفة، وكانت أغلب تلك الموضوعات لا علاقة لها بالسياسة.

بعد انقضاء مدة ليست بالبعيدة على بدئي بالاستقرار بهدوء في عملي بمكتب اتصالات الحاكـم، وذلك في المدة التـي تلت الجلسة التشريعية، ومدة توقيع القوانين التي أعقبتها، طلبت إليّ كارن هيوز التي كانت حينها مديرة حملة بوش الانتخابية لسنة 2000، التقدم خطـوة أخـرى إلى الأمام. حدث الأمر هذه المرة في أواخر شهـر تموز، يوليو سنة 1999، وكانت تلك الخطوة تتعلق بالانضمام إلى آلة الحملة الرئاسية الجاهزة للانطلاق على أن أشغـل موقع نائب السكرتير الصحفـي. كان الفريق بحاجة إلى ملء الفراغ الذي تسببت بــه مغادرة المتحدث الرسمي الوطني ديفيد بيكويث، وهو مسؤول مخضرم متخصص في مجال الاتصال السياسي في واشنطن، وكان أيضاً الناطق الرسمي السابق لنائب الرئيس. تعـود معرفتي ببيكويـث إلى سنة 1992، عندمـا كان يعمل في تكساس لصالح المرشحة لمجلـس الشيوخ الأمريكي كاي بيلي هاتشيسـون. كنت أحب بيكويث، لكن كارن كانت تراه مثل مدفع ينطلق في كل الاتجاهات، وكان أقل حذراً مما يجب، وغير ملتزم كثيراً بالمهمة الموكولـة إليه كما ترغب هي بذلك. أعربت كارن عن ثقتها في مقدرتي على تعاطي الأمور بحذر، وعلى الالتزام بالمهمة الموكولة إلينا، وأحسّت بأنني قادر بشكل جيد على استيعاب النبرة التي يفضل بوش استخدامها في تصريحاته.

اكتسبتُ خبرةً لها قيمتها أثناء تعاملي مع الصحافة الوطنية خلال الفترة التي سبقت الانتخابات التمهيدية وانتخابات الولايات التمهيدية المبكرة. قضيت معظم وقتي في الرد علـى الاستفسارات الصحفية الواردة من صحفيـين من ذوي ميول مختلفة، وكذلك من مؤسسـات إخبارية، وذلك بشكل شخصي، وأيضاً على الهاتف، والمشاركة في اجتماعات الإستراتيجية الإعلامية.

كان الحاكـم بوش يبدو في طريقه إلى تأمـين ترشيح حزبه للانتخابات؛ عرضت عليّ كارن أن أكـون السكرتير الصحفي المتنقل عندما تتحـول الحملة إلى مستوى الانتخابات

العامـة. كانـت كارن تتابع سفرها بانتظـام كناطق رئيس باسم الحملـة، ولكن بسبب أن كل الحاشيـة الصحفية تتبع المرشح في كل خطوة يخطوها، كان لا بد من وجود ناطق ثانٍ متنقل. قبلت العرض بكثير من الحماسة.

لم يتحقـق النصـر التمهيـدي بالسرعـة والسهولـة اللتين كنـا نتوخاهـا. فقد حقق السيناتـور ماكـين نصراً مفاجئاً في ولايـة نيو هامبشير، وتلا ذلـك نصر حققه بوش في السباق المحموم في ولاية جنوب كارولينا. بدأ تقاذف الاتهامات بين الطرفين حول حصول الكثـير من الافـتراءات، والأحابيل القذرة، والهجمات السلبيـة والضربات تحت الحزام بـدءاً من السبـاق في ولاية جنوب كارولينا والمستمرة في معركـة الانتخابات التمهيدية في باقي الولايات، والتي أدت إلى شعور بالمرارة أتصور أنها ما تزال تخيم على بعض الأماكن إلى يومنا هذا.

ربمـا تتساءلـون فيمـا إذا كانـت تلـك التكتيـكات الفظـة المؤذيـة في إدارة الحملات الانتخابية هي أحد الأهداف التي أصوب عليها عندما أشجب المبالغة في المدى الذي تذهب إليـه واشنطـن في حملاتها التي لا تتوقـف، وسياستها التي هي أشبـه بالأرض المحروقة. أنـا بالتأكيـد لا أتبنى تشويه سجل الخصم، ولا أتغاضى عنـه؛ كما أنني لا أفبرك أكاذيب عنـه أو أغمـز من قناته عبر نشر حملات هامسة للإساءة إليـه، بل أرى أن وظيفة وسائل الإعلام هي المساعدة في كشف الحقائق في مثل هذه الظروف. لكن القلق لا يساورني بشأن الحمـلات الانتخابيـة القاسية والصعبة، بـل بشأن تكتيكات مثل هـذه تتسرب إلى سلوك الحكومـات. فـ(التكتيكات) الانتخابية القاسية قديمة قـدم الديمقراطية. ولكن مع نهاية الانتخابـات، فإن القـادة المنتخبين من كلا الحزبين - خصوصاً الذيـن يستلمون السلطة - مدينون للشعب أن يعملوا يداً واحدة من أجل حل مشكلات البلاد عبر المداولات والقبول بالحلول الوسطى. وهذا ما قاموا بفعله في أغلب مراحل التاريخ الأمريكي، حتى بعد حدوث حملات انتخابية كانت سلبية بشكل متوحش أو تم خوضها بضراوة. (كانت لنا حصتنا من هـذا النوع من الحملات في ولاية تكساس). يجب علينا إيجـاد وسيلة نعود بواسطتها إلى تلك التقاليد.

نهض ماكين من كبوته بعد خسارته في ولاية جنوب كارولينا بواسطة الانتصار الذي حققه في ولاية ميشيغان، لكن ذلك الانتصار كان الأخير بالنسبة إليه، ذلك أن بوش فاز في نهاية المطاف بترشيح الحزب الجمهوري.

غالباً ما توصف الحملات السياسية «بالفوضى المنظمة». الحملات الرئاسية هي فوضى منظمة على نطاق واسع. هناك العديد من النقاط التي يجب التركيز عليها، مثل جمع التبرعات، وممارسة الخداع، والبحث في الإستراتيجية، والاتصالات، ودفع العمل إلى الأمام، والتقصي، وتنظيم المناسبات؛ وكل واحدة من هذه النشاطات تستوجب إبقاء الصحون تدور فوق العصي بالوقت نفسه. قضيت معظم زمن الانتخابات التمهيدية في ممارسة مهمة الناطق الصحفي كنت أقوم خلالها بالرد على استفسارات وسائل الإعلام، وإجراء مقابلات، والمشاركة في اجتماعات إستراتيجية الاتصالات، والمناقشات. بعد أن تم تعييني بوظيفة المتحدث الرسمي المتنقل أثناء الانتخابات العامة، قضيت معظم وقتي متنقلاً كوني عضواً في فريق بوش المتنقل. أما في الأيام التي لم نكن نسافر فيها، فقد كنت أعود لإجراء الاتصالات الهاتفية، والمقابلات التلفزيونية من مركز الحملة الرئيس، والمشاركة في الاجتماعات الصباحية المخصصة لكبار أعضاء فريق بوش حيث كنا نناقش إستراتيجية الاتصالات بما في ذلك النقاط التي يجب الحديث عنها، بالإضافة إلى موضوع رسالة اليوم.

تتضمن ذكرياتي عن موكب الحملة الانتخابية عدداً لا يحصى من الأسفار الجوية، ومواكب الدراجات النارية، والحافلات الصحفية، وغرف الفنادق، والاحتفالات الجماهيرية الضخمة، والعلاقات الإعلامية المتنقلة. كنت أقوم بتنسيق الرسائل والردود، ونحن على طرقات السفر مع كارن هيوز، الناطقة الرئيسة باسم الحملة؛ ومنها، كنت أعود مع فريق الاتصالات إلى مركزنا الرئيس في أوستن - بمن في ذلك الناطق باسم الحملة على المستوى الوطني آري فليشر، ومدير قسم الرد السريع دان بارتليت.

كان من ضمن مهامي القيام بمهمة إدارة الإنذار المبكر، وجمع المعلومات الأمنية لصالح الحملة الانتخابية. عبر إقامة علاقات وثيقة مع الصحفيين الذين كانوا يغطون تنقلات

openkand.com

بوش في أسفاره، بما في ذلك قضاء وقتي بينهم، فقد التقطُّ نتفاً مفيدة من المعلومات – مثل تطوير خيوط الحبكة التي تزودنا بالدفع اللازم الذي نحتاجه، والاطلاع على الهجمات التي ترد إلينا من المعارضة، أو الآراء الواردة من داخل معسكر آل غور بواسطة زملائهم الذين يقومون بتغطية العرض الطُّرُقي للحملة الانتخابية للديمقراطيين. وكما هي الحال في أي معركة إستراتيجية، من المفيد الاطلاع على المزاج العام للخصم، وعلى طريقة تفكيره.

شكلت الحملة الانتخابية فرصة لي كي أتعرف إلى بوش أكثر، نظراً إلى أنني قضيت معظم وقتي بالقرب منه، بما في ذلك إطلاعه على المعلومات الإعلامية التي تهمه، وكان هذا يتم غالباً بوجود كارن هيوز. تتطلب الصرامة التي تتميز بها الحملات الانتخابية الرئاسية انضباطاً، وحيوية، وتركيزاً من قبل المرشح لهذا المنصب. السفر منهك جداً، وغالباً ما يتضمن المشاركة في العديد من المناسبات في كثير من المدن، وفي أي يوم؛ لكن ربما ينعم المرء بيوم أو يومين من الراحة في منزله بعد قضاء بضعة أيام مسافراً في القافلة الانتخابية. يكون المرشح دائماً تحت الأضواء، فهو يلقي خطابات، ويجري مقابلات، ويحضر اجتماعات لجمع التبرعات، ويصافح الأيدي الممدودة إليه من وراء خطوط من الحبال؛ و،نعم، يحمل الأطفال بين ذراعيه. يجب عليه أن يشارك في لعبته كل دقيقة من كل يوم.

نجح بوش في التعامل مع هذه الضغوطات بشكل لافت. فقد كرس وقتاً كافياً لتصفية ذهنه، وترتيب أوراقه، وأخذ قسط وافر من النوم (أقلّه، في معظم الأحيان). كما تفهّم أيضاً أهمية أن يكون في موقع متقدم في السباق. فالحملة الانتخابية هي سباق ماراثون، فهم بوش طبيعته عبر مراقبة حملة والده في سنة 1988 وتقديم النصح له. كان يمتلك أيضاً مقدرة عظيمة في الإبقاء على تركيزه على الصورة الكبيرة من دون أن ينتابه القلق بشأن القصص «الإجرائية الصغيرة» – التحليل اليومي للتفاصيل الصغيرة المتعلقة بسباق الخيل الذي ترغب الصحافة في نقلها، والتي لا تجد في الغالب، أي اهتمام يذكر من قبل عامة الشعب.

أدرك بوش أيضاً أهميــة المحافظة على روح الدعابة لديــه، خصوصاً عندما بدأت تشتـد سخونة الحملة الانتخابيــة. يشتهر بوش بأنه يحتفظ بحجـرة أدراج تحتوي على الكثـير من القصص الغريبة؛ اخترت بدلاً من سرد هــذه القصص في هذا الكتاب أن أتركهـا في تلك الحجـرة من الأدراج المقفلة. ولكن عليّ القول إننـا قضينا أوقاتاً مرحة جـداً وخصوصـاً عند اقتراب نهاية الحملـة الانتخابية. كانت النهايـة وشيكة بشكل أو بآخر (أو هذا ما تبادر إلى أذهاننا)، وانتابنا إحساس بأننا، وبعد عدة أشهر من التنقل والسفر، سوف نعود قريباً إلى بيوتنا.

كان الاحتفـاظ بروح الدعابة وراء الستـار يساعد المرشح وجميع من حوله بتحمل جو الحملـة الانتخابية المتوتر والمملوء بالضغوط من دون أن يفقـد أحد ملكاته الفكرية. كان بوشـ يحب أن يداعب أعضاء فريقه المتنقل وذلك بسؤالهم في نهاية اليوم فيما إذا كانوا يشعرون بالتعب بسبب عملهم طيلة اليوم. كانت لديه طريقة ذكية في القبض على فريسته. فلـو قال أحدهم إنه كان يشعر بالتعب، كان يسـارع في إبلاغ أعضاء الفريق الآخرين عن حجـم التعـب الذي كان يشعر به طيلـة اليوم. وكان يلتفت بعدهـا إلى عضو الفريق ذاك ويسأله: «كـم خطاباً ألقيتَ هذا اليوم؟ وكم يداً ممدودة إليك قمتَ بمصافحتها؟» كانت تلـك طريقـة لطيفة يذكرنا فيهـا بالشخص الـذي كان عليه أن يتحمل أثقـل الأعباء في سفرنا في ذلك اليوم. لقد كان هذا أسلوباً أعاد بوش استعماله في حملة سنة 2004، أثناء رحـلات امتدت زمناً أطول مـن الحملة الأولى. ونعم؛ أذكر أنني وقعت في هذا الشَّرَكِ في إحدى المرات.

ففي إحدى الأمسيات، ومع اقتراب نهاية الحملة الانتخابية استدار الرئيس من مقعده بجانب الممر في مقدمة الطائرة المخصصة للحملة الانتخابية وأشار إلى واحد من أعضاء الفريـق في الصف الأخير من الجزء المخصص لفريق العمل، على بعد صفوف قليلة منه إلى الـوراء. كان عضـو الفريق، إريـك تيريل قد وقّعَ على شيـكات تتعلق بمصاريف سفر محـدودة. كان لطيفـاً في أسلوب حديثه، وكان شخصاً يؤثـر الابتعاد عن الأضواء لدرجة أن مـن السهولة بمكان أن تتغاضى عنه. كان بوشـ يدعوه: «تشيك دود»، وهو لقب أعطي

له منذ بداية الحملة الانتخابية. كان إريك هذا، قد تراهن مع لفيف من زملائه في طاقم السفر أن بإمكانه أن يتابع سفره مع بوش من بداية الحملة إلى نهايتها من دون أن يعرف بوش اسمه الحقيقي. لكن بوش استدار في تلك الأمسية، وأشار إليه قائلاً: «إريك تيريل؛ أنت إريك تيريل. لقد أمسكتُ بك. لقد وقعتَ في الفخ».

وفي الوقت الذي كان بوش يضحك مزهواً بانتصاره، كان على إريك أن يدفع الرهان الذي خسره.

بالعودة إلى الماضي، أذكر أنني مررت بتجربة لا تنسى عندما كنت مسافراً مع الحاكم بوش في بداية الحملة الانتخابية؛ ولقد كشفت لي هذه التجربة عن أشياء أكبر من النزعات المقيتة في واشنطن المعاصرة والمتمثلة في قضاء وقت غير محدد من أجل الغوص في ماضي المرشح الشخصي. كما أظهرت جانباً مثيراً للفضول في شخصية بوش - وهو الجانب الذي أثبت أهميته في بعض الأحيان أثناء إدارته الرئاسية.

أذكر أننا كنا نقوم بحملتنا الانتخابية في الغرب الأوسط. وقد حدث هذا بعد وقت قصير على ضمان بوش لترشيح الحزب الجمهوري له. كانت كارن هيوز تسافر معنا أثناء المواجهة الشرسة بين معسكري بوش وماكين في الانتخابات التمهيدية، ولكنها قررت بعد انقضاء تلك المواجهة ملازمة بيتها للتركيز على الصورة الإستراتيجية الأشمل للانتخابات العامة بعيداً عن متطلبات الطريق ومستلزماته، بينما كنت أثناء ذلك الناطق الوحيد باسم الحاكم.

بعد الانتهاء من إحدى المناسبات الانتخابية، وصلنا إلى فندق محلي حجزت فيه بعض الغرف لأعضاء الفريق لأخذ قسط من الراحة. كنا، بوش وأنا، قد قمنا بإحدى الزيارات، توجهنا بعدها إلى جناحه. كان مساعده الشخصي لوغان والترز في إثرنا مع بعض عملاء الأمن السريين. في الطريق إلى الطابق العُلْوي، بدأ بوش بطرح الأسئلة، والدردشة بشأن ما يدور في سلك الصحافة. وحالما اقتربنا من غرفته، ذكرت له بأن التطرق إلى موضوع الكوكايين متواصل في الصحف وأنه يتسرب من بين ظلال الحملة الانتخابية.

كان الصحفيون في المراحل الأولى من الحملة الانتخابية قد سألوا بوش عن موضوع إشاعة تعاطيه للكوكايين في مراحل شبابه الأولى. كانت الإشاعات تنتشر، لكن أياً من هذه الإشاعات لم يتم إثباتها. كان بوش يتجنب دائماً الخوض في أسئلة لها علاقة بماضيه عبر القول بطريقة مُراوِغةٍ وغامضة مقصودتين: «عندما كنت شاباً لم أشعر بالمسؤولية، كنت شاباً لا أشعر بالمسؤولية». أغلب الصحفيين والمعلقين - أراهن أن أغلب الناخبين كذلك - التقطوا الرسالة. كان بوش في واقع الأمر يقر بأنه ارتكب بعض الأخطاء بما في ذلك تناول الكحول والمخدرات، في الوقت الذي رفض أن ينجرّ إلى سيل لا ينتهي من الأسئلة عما قام به بالضبط وكيف يمكن أن يؤثر ذلك على قدرته لاستلام زمام الحكم وذلك بعد مرور سنوات على تلك التجربة. بعد ذلك كان بوش ينتقل إلى الموضوع الأشمل الذي كان يرغب في التأكيد عليه: الرسالة الأهم التي يمكن أن يرسلها مرشحون مبتدئون مثله إلى أبنائهم هي أنهم تعلموا من أخطائهم، وأن على أبنائهم تجنب ارتكاب مثل هذه الأخطاء.

استطاع سام أتليسي، الصحفي المخضرم الذي يعمل في صحيفة «دالاس مورنينغ نيوز» في شهر آب، أغسطس، سنة 1999، أن ينتزع جواباً جزئياً غير مباشر من بوش حول هذه المسألة. تركز السؤال حول ما إذا كان بوش قادراً على الوفاء بالمعايير التي تتطلبها التحقيقات الأمنية التي يجريها مكتب التحقيق الفيدرالي (FBI) حول خلفية من قد يعينون في منصب فيدرالي، والتي من بينها سؤال يتعلق بتعاطي المخدرات خلال السنين السبع الأخيرة. أجاب بوش أنه على استعداد للقيام بذلك؛ وأكد على أنه لم يتعاطَ الكوكايين خلال تلك المدة. سئل في اليوم الثاني عن مدى وفائه بتلك المعايير أثناء فترة إدارة والده، عندما كان يعمل بصفة مستشار غير رسمي لبوش الأب. هذه المرة، كان السؤال يغطي مدة خمس عشرة سنة. أكد بوش أنه على استعداد للقيام بذلك أيضاً؛ ثم قام بوضع حد لهذا الموضوع بالقول إنه لم يتعاطَ الكوكايين منذ سنة 1974 على الأقل. بعد ذلك عاد إلى مقولة «الشاب اللا مسؤول»، وأوضح أنه لن يتطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى.

على الرغم من ذلك، عادت القصص الإخبارية وأعمدة الرأي للحديث بشكل متواتر حول هذا الموضوع من جديد. أكد بعض النقاد أن هذا الموضوع يدخل في صلب النقاش حول ترشيح بوش. وأشاروا إلى أن بوش كان منافقاً عندما تبنى اتخاذ عقوبات صارمة ضد المتعاطين لكميات قليلة نسبياً من الكوكايين طالما أنه هو نفسه كان قد تعاطاها في الماضي، خصوصاً أنه لم يواجه أي مشكلات تستحق الذكر بسبب فِعْلَتِه تلك.

كل ما تقدم، كان في خلفية الحديث الذي جرى بيني وبين بوش في طريقنا إلى الجناح المخصص له في فندق في مكان ما، من الغرب الأوسط. ذكرت للحاكم أن الصحيفة المحلية في تلك البلدة نشرت صورة مبتذلة له بجانب قصة تتحدث عن الإشاعات الدائرة حول موضوع الكوكايين. كانت الصورة لرأس بوش، وكانت تظهر فيها سبابته وهي تلمس أرنبة أنفه. كان التعبير بالطبع محض مصادفة، لكنها أضحت موحيةً على الأقل كونها عرضت بالتزامن مع القصة المرافقة لها. هز بوش رأسه وكأنه غير مصدق، وتنهد قائلاً: «غير معقول. لا بد أنك تمزح!»

حينما وصلنا إلى جناحه، دعاني الحاكم للحاق به إلى الغرفة الخلفية. بقي لوغان في ردهة غرفة الجلوس، وكان يحضر لمكالمة هاتفية كان بوش سيتلقاها من أحد المؤيدين. أشار بوش إليّ أن أجلس وأسترخي في غرفته بينما كان يرد على المكالمة. لم أكن أعرف من هو المتصل؛ ولكن من نغمة الحديث الدائر، كان باستطاعتي الاستنتاج بأنه كان واحداً من كبار المتبرعين، ولو أنه لم يكن من أصدقائه القدامى. ونظراً لأن تعليقاتي حول الصورة في الصحيفة المحلية كانت ما تزال طرية في ذاكرته، فقد أثار بوش خلفية هذا الموضوع في تلك المكالمة.

سمعت بوش يقول: «يبدو أن وسائل الإعلام لن تتوقف عن الحديث حول هذه الإشاعات السخيفة عن الكوكايين». وتابع قائلاً: «هل تصدقني إذا قلت لك إنني لا أتذكر فيما إذا كنت قد تعاطيت الكوكايين أم لا. لقد كنا نقيم بعض الحفلات الماجنة حينها، وأصدقك القول إنني لا أتذكر».

obeikandi.com

هــذا الكلام الذي لم أملــك إلا أن أسمعه أصابني بالصدمــة، وما يزال يلازمني إلى يومنــا هذا – ليســ بسبب ما كشفه أو ما خبأه عن الشاب جــورج بوش، بل بسبب ما قاله عن بوش كرجل أكبر سناً وكقائد سياسي، خصوصاً كما كشفت عنه تجاربي اللاحقة في العمل لديه.

أذكــر أننــي سألت نفسي: كيف يمكن أن يتم ذلك؟ كيــف يمكن لشخص أن ينسى أنه تعاطى مادة ممنوعة مثل الكوكايين؟ إنه أمر لا يُصَدّق.

أجريــت مقارنة بين ذاكرة بوش، أو غيابها وبين ذاكرتــي. عندما كنت شاباً صغيراً، كنت أعاني من مشكلة الإفراط في تناول الكحول في الحفلات أو في البلدة مع أصدقائي. كنت متواجداً لمرة أو مرتين بين مجموعة من الأشخاص الذين كانوا يدخنون الماريغوانا. ولكــن كان هناك دائماً حد رسمته بيني وبين المخــدرات. أقرب اللحظات التي اختبرتها مــع المخدر كانت الإمساك بلفافة ينبعث منهــا الدخان في يدي في منزل أحد الأصدقاء، حدقــت فيها لبعضــ الوقت كما لو أنني كنت تحت تأثير إغــراء تدخينها – وكان القصد مــن ذلك مجــرد محاولة مني لمداعبــة أصدقائي وليســ أي شيء آخــر – ومن ثم قمت بتمريرهــا إلى الشخص الواقف إلى جانبي، قائلاً: «شكراً ولكن؛ لا، شكراً». أو شيئاً من هــذا القبيل. بعــد أن تكرر الشيء نفسه مرتين، تبين لأصدقائي أن من غير المجدي حتى محاولة إغرائي بتدخينه.

ســواء قمــت بتدخين ملء قِدْرٍ مــن الماريغوانا أم لا، فهو ليس بــذي أهمية. المهم أنني أعــرف ماذا حدث؛ أي أنني أتذكر. وجدت من الصعوبــة بمكان، استيعاب كيف أن بوش يمكن أن يقول إنه ببساطة لا فكرة لديه البتة حول ما حدث في ماضيه الشخصي.

أنــا أعرف بوشــ، وأعرف أنــه يؤمن تماماً بما يقــول. إنه ليس ذلــك الشخص الذي يــوزع الكذب يمنة ويســرة، خصوصاً عندما يجري حديثاً خاصاً مــع أحد مؤيديه أو أحد أصدقائــه. ولذلــك فإننــي أصدق أنــه كان يعني ما قالــه في تلك المحادثــة الهاتفية حول الكوكايــين. كانت المــرة الأولى التي شعرت فيها أنني أشهد بوشــ وهو يحاول إقناع نفسه بشــيء ربما لم يكن صحيحاً، وأنه في أعمــاق نفسه، كان يعرف أن ذلك لم يكن صحيحاً.

وكان دافعه للقيام بذلك جد واضح: كان ذلك مفيداً من الناحية السياسية. هو بالتأكيد، ليس السياسي الوحيد الذي يلجأ إلى آلية الدفاع عن النفس عبر استعمال الذاكرة الضبابية، خصوصاً في ثقافتنا السياسية التي تتجه أكثر فأكثر نحو الشفافية حيث يطلع الناخبون على مصادر أكبر للأخبار أكثر من أي وقت مضى؛ كما أن كل شيء تقريباً يعتبر بالنسبة للبعض لعبة عادلة.

في السنين التي تلت ذلك، وبما أنني كنت أعمل قريباً جداً من الرئيس، توصلت إلى نتيجةٍ مفادها أنه يدفع نفسه أحياناً إلى الاعتقاد بما يتناسب واحتياجاته في تلك اللحظة. وهذا شبيه بشاهد في قاعة المحكمة لا يريد أن يورط نفسه بأي موقف خاطئ، لكنه يخشى أن يحنث باليمين؛ ولذلك فهو يقول: «لست أذكر». فالشاهد يعلم علم اليقين أن أحداً لن يلج إلى داخل رأسه ليثبت أن ما قاله غير صحيح، ولذا فإن هذا يبدو نهجاً أقرب إلى السلامة منه إلى الكذب. على الخطى نفسها، يختار بوش اللجوء إلى الذاكرة الضبابية كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس ضد أي إحراج سياسي محتمل. وهو يعقلن هذا الموقف لدرجة أنه يجعله مقبولاً، وذلك لأنه لا يؤكد صراحة على أن ما قاله يمكن أن يكون كذباً. وإذا تبين له فيما بعد، أن عكس ما صرح به هو الصحيح، فإن بإمكانه حينئذ إقناع عقله عبر إنكار حصول أي كذب.

بعبارة أخرى، أن يكون الإنسان مراوغاً لا يعني أن يكون كاذباً بالنسبة إلى طريقة تفكير بوش. فالأولى مقبولة، في حين أن الثانية غير مقبولة. كنت شاهداً على حدوث ذلك في لحظات خاصة أخرى، ومع أشخاص كان يثق بهم، بالإضافة إلى مناسبات أخرى أثناء الإدلاء بتصريحات صحفية أو في المؤتمرات الصحفية.

خداع الذات هو جزء من الطبيعة البشرية، وهو سلوك نمارسه جميعاً من حين إلى آخر. لكن هذا النوع من الخداع بالنسبة للسياسيين يصبح أكثر تميزاً، وربما أكثر وضوحاً. لن يكون بوش أول سياسي أو آخر سياسي يخادع نفسه؛ لكن المدى الذي ذهب إليه في عملية خداع الذات تجاوز إطار القضايا الشخصية التي يمكن القول إنها قد تصبح خارج حدود السيطرة، والأنكى من ذلك أن اقتناعه بصدقية معتقداته الخادعة

obeikandi.com

للذات ترقى إلى مستوى السمة الشخصية التي تؤثر مباشرة في القضايا الكبرى التي لها علاقة بطبيعة الشخصية وأسلوب القيادة، وتنعكس على مسائل الحكم الحقيقية.

اللحظة الأخرى التي لا تنسى، تجلت في المرحلة الأخيرة من الحملة الانتخابية للرئاسة عندما تم الكشف عن أن بوش أدين بتهمة قيادة السيارة تحت تأثير الكحول خلال فترة الإجازة التي كانت العائلة تقضيها في كينيبانغبورت عندما كان في منتصف العشرينات، والسبب في الكشف عن هذه المعلومات يعود إلى أن الزخم الانتخابي كان لمصلحتنا في تلك الأيام الأخيرة، وذلك لأن بوش خرج في المقدمة بنتيجة المناظرات الرئاسية التي حصلت في شهر تشرين الأول، أكتوبر. تخطى بوش الآمال القليلة بشأنه خلال تلك المناظرات، بينما لم يستطع (غور) تحقيق الآمال الكبيرة المرجوة منه والمتمثلة في أنه سوف يطغى بسهولة على بوش.

كان أداء غور في المناظرة الأولى والذي تميز بكثير من التنهدات والمبالغة يصب في صالحنا مباشرة. فقد قمنا بتطوير رسالة مهمة للتقليل من شأن مصداقية غور، تتلخص في أنه مستعد لقول أو فعل أي شيء كي يتم انتخابه. لم يخيب غور آمالنا فيه، ذلك أن التصريحات التي كان يطلقها والأفعال التي كان يقوم بها غالباً ما كانت تثبت هذا الانطباع في عقول العديد من الناخبين. كما كانت تتمايز بشكل ممتاز عن واحدة من أهم الرسائل التي كنا نطلقها باتجاه الناخبين: بوش إنسان صادق ويمكن أن تثقوا به من أجل القيام بما هو صواب، وليس بما هو مناسب من الناحية السياسية.

الآن، وقبل أربعة أيام على الانتخابات، كان بوش قد انتهى من لقاء جماهيري في شيكاغو. كنت أسير صوب الحافلات المخصصة لنقل طاقم الصحفيين إلى طائرة الحملة الانتخابية عندما قالت لي كارن إن محطة محلية تابعة لشبكة فوكس نيوز في ولاية مينيسوتا سوف تبث خبراً عن بوش مفاده أنه تم توقيفه بتهمة القيادة تحت تأثير الكحول عندما كان في العشرينات من عمره.

عدت بذاكرتي مباشرة إلى ذلك الحديث الذي جرى بيني وبين كارن منذ سنة مضت عندما قالت إن الحاكم بوش يفضل أن يتجنب التركيز الإعلامي على إقرار قانون ضد

القيادة تحت تأثير الكحول بسبب «شيء ما، له علاقة بماضيه». فجأة، اكتسبت كلمات كارن معنى محدداً.

بعد انقضاء دقائق على حديثي مع كارن في شيكاغو، اقترب مني كارل كاميرون، كبير مراسلي شبكة فوكس نيوز السياسيين والذي قام بتغطية الحملة الانتخابية كونه واحداً من الطاقم الصحفي المتنقل مشيراً إلى أنه سمع هذه الأنباء أيضاً، من المحطة المحلية التابعة لشبكته على ما أعتقد. أبلغني بأنه سوف يبث هذا الخبر على الهواء كجزء أول في نشرة أخبار المساء بالاشتراك مع برت هيوم، هناك في واشنطن.

اتصلت بدان بارتلت، الذي كان يشغل منصب مدير الردود السريعة في حملتنا هناك في أوستين. كان من بين أهم مسؤوليات مدير الردود السريعة المراقبة اللصيقة للمعارضة، وإيجاد طرق ووسائل لوضعها في حال الدفاع مثل الإشارة إلى أن الخصم يقول شيئاً، إلا أن تاريخه ممتلئ بعكس ما يقول. كما أن من بين الواجبات الرئيسة لمدير هذا المكتب القيام بتنسيق جهود الحملة الانتخابية بهدف إعداد رد سريع يتضمن نفس الوتيرة الإخبارية على الهجمات الموجهة إلى مرشحنا، وإعداد خبر عاجل بغية تدمير مصداقية الخصم. وإذا صدر الهجوم عن الخصم مباشرة، فإن الجهد المبذول من قبل مكتب الرد السريع يهدف إلى رد الضربة مباشرة وذلك لتجنب الوقوع في موقف دفاعي. أما إذا كانت الأخبار مسيئة، فإن الرد يتضمن في العادة محاولة نقل التركيز على هذا الخبر إلى مسار آخر في وسائل الإعلام ربما عبر إيجاد طريقة لوضعه ضمن إطار الحيل القذرة التي تتبعها المعارضة. أخبرته أن جهودي لإقناع كاميرون بتأجيل بث هذا الخبر إلى حين إعداد رد من أجل التوثيق ذهبت أدراج الرياح. وبناء على ذلك، اتصل دان بكاميرون وأعطاه ردنا الأولي.

إنها حقيقة سياسية قديمة. فالمرشح صاحب الماضي المثير للجدل بحاجة إلى الإفصاح عنه منذ البداية، وبشروطه هو، وإلا فإن خصومه يمكن أن يختاروا التوقيت والأسلوب المناسبين للكشف عنه بطريقة محسوبة، وذلك بغية إيقاع الكم الأقصى من الضرر السياسي. لهذا السبب فإن فرق الحملات الانتخابية الذكية تجري أبحاثاً وتقوم

بتحقيقــات ليس فقط حول خصومهــا، بل على ذاتها وعلى مرشحيها أيضاً مستخدمة في ذلك مصادر المعلومات العامة، وكذلك تحقيقات سرية للكشف عن أسوأ ما في مرشحهم عبر الإنترنيت، وملفات الصحف القديمة، أو الوثائق العامة، لأن «الأشخاص الشريرين» في الطرف المقابل يمكن أن تقع عليها أيديهم أيضاً.

كان كل فــرد من فريق بوش يدرك هذا المبــدأ بطبيعة الحال. لم يدر في خلدي مطلقاً وجــود ســوى قلة من بين المستشارين الرئيسين لبوش ممــن كانوا على إطلاع على الحكم الذي صدر ضد بوش بسبب قيادته السيارة تحت تأثير الكحول. قادني الحديث مع كارن هيوز قبل سنة إلى الاعتقاد أنها كانت على دراية بالموضوع بشكل عام، وأنها لم تكن ملمة بالتفاصيــل. وقد استندت في استنتاجي هذا إلى معرفتي بكارن وضبابية كلماتها («شيء ما، يتعلق بماضيه»).

عندمــا شارفنا على الانتهاء من الفعالية المسائية الأخيرة، علم بوش أن عليه مواجهة الإعلام الذي يغذي هذا الجنون حول قصة القيادة تحت تأثير الكحول. كان لهذه القصة التي انفجرت في وجوهنا في المراحل الأخيرة من السباق أن تغير من مسار الحملة برمتها. فقــد طفت على السطح من جديد جميع الإشاعات حــول الأيام الماجنة التي انغمس فيها بوش في مرحلة شبابه الأول بطريقة مثيرة مترافقة بأدلة دامغة، محددة وموثقة.

أبلــغ بوش أركان الصحافة المجتمعــين الذين كانوا يغطون توقفه في ولاية ويسكينسون أن قصــة القيادة تحت تأثــير الكحول هي بالأساس صحيحة. قال بوشــ: «غالباً ما أقول إننــي ارتكبــت بعض الأخطــاء في الماضي». وتابــع قائلاً: «كنت من حــين لآخر، أفرط في الشراب. في تلك الليلة أفرطت في الشراب، وتم إيقافي. اعترفت للشرطي أنني كنت ثملاً. دفعت الغرامة. وندمت على حصول تلك الحادثة. لقد تعلمت الدرس جيداً».

تابــع القول إنه لم يعلن على الملأ عن توقيفه بسبب قيادته تحت تأثير الكحول من قبل لأنــه لم يشأ أن تعلم ابنتاه أي شيء حــول هذا الموضوع. فقد طلب إليهما بصفته أباً أن لا تقودا سيارة تحت تأثير الكحول لأنه لا يريد لهما أن يقوما بفعل ما فعله هو من قبل.

obeikandl.com

استمر بوش في الحديث عن التوقيت المشبوه لإذاعة هذا الخبر، متسائلاً فيما إذا كان لمثل هذا النشر دوافع سياسية. وكانت هذه محاولة لنقل مادة الحديث من الأفعال المشينة التي ارتكبها بوش إلى التركيز على سلوك المعارضة أملاً في يرتد الاشمئزاز الشعبي من شن الحملات السلبية على الديمقراطيين. وفي الواقع، اعترفت المراسلة التلفزيونية في ولاية مين التي كانت أول من سرّبت الخبر بأن المعلومات التي تلقتها حول هذا الموضوع كانت من أحد النشطاء الديمقراطيين، وكان مندوباً إلى المؤتمر الديمقراطي العام.

ما هو التأثير الذي أحدثته قصة القيادة تحت تأثير الكحول على نتائج الانتخابات سنة 2000، والتي كانت متقاربة بشكل مذهل؟ ليس من السهل تخمين ذلك. اعتقد كارل روف، رئيس التخطيط الإستراتيجي لحملة بوش الانتخابية أن ذلك الكشف كان مسؤولاً عن خسارة الجمهوريين في ولاية مين حيث انطلق منها هذا الخبر، بالإضافة إلى خسارة دعم لا يستهان به على الصعيد الوطني والذي أدى ببوش إلى خسارة الصوت الشعبي وأوصل الانتخابات إلى مرحلة التمديد. لقد أدى إخفاق حملة بوش الانتخابية في إعادة «الشرف والكرامة» إلى البيت الأبيض بسبب هذا الكشف ببعض المحافظين الاجتماعيين إلى النأي بأنفسهم عن هذا السباق بدلاً من التصويت لمرشح يعتقدون الآن أنه يعاني من كثير من العيوب والنقائص.

بالنسبة لي، لم يكن لقصة القيادة تحت تأثير الكحول تأثيرٌ كبيرٌ على موقفي من جورج بوش، أو من حملته الانتخابية. كنت سأسجل اسمي ضمن قائمة مؤيديه لأنني كنت أؤمن أن بإمكانه أن يمثل قوة توحيد تأخذ بيد الأمة باتجاه التغلب على انقساماتها الحزبية المرة.

لم أعتبر سوء معالجة قضية القيادة تحت تأثير الكحول جنحة خطيرة ارتكبها جورج بوش بل هفوة صغيرة تسببت بها دوافع مفهومة: ومنها الرغبة في تجنب أي إحراج سياسي حول مسألة شخصية لها علاقة بماضيه، والتردد الأبوي في استعراض حلقة بعيدة من ماضيه أمام ابنتيه المراهقتين العاطفيتين.

الأهم من كل ما تقدم، لم تكشف القصة شيئاً ملموساً يتعلق بقدرة بوش على ممارسة الحكم؛ ذلك أن هذه المخالفة حصلت منذ سنين عديدة، وامتنع بعدها بوش عن معاقرة الخمرة منذ أكثر من عشر سنوات. وعلى أي حال، لم تتضمن تلك الجريمة انتهاكاً لثقة الشعب. لا شك في أن القيادة تحت تأثير الكحول مسألة خطيرة يمكن أن تؤدي إلى عواقب مأساوية. لكنني لا أظن أن حادثة معزولة من القيادة تحت تأثير الكحول يجب أن تؤدي بشكل آلي إلى منع أي شخص من ممارسة مهمته في مجال الخدمة العامة، بعكس جرائم مثل الرشوة، أو الاختلاس، أو التزوير على سبيل المثال.

لكن هناك درساً سياسياً مهماً يمكن تطبيقه على قضايا حكومية أكثر أهمية خلال مدة رئاسته. فبينما تحدث بوش عن قضية القيادة تحت تأثير الكحول بجرأة وشجاعة، وأجاد في ما قام به، فقد كان ما فعله ليس سوى القليل الذي أتى متأخراً جداً، وبشروط الآخرين. فقد سمح لهذه القضية أن تتحول إلى لغط أعظم مما تستحقه نظراً إلى أنه لم يعالجها في وقت أبكر، وبشروطه هو. وكانت النتيجة أن تلك القضية عمقت الشكوك التي كانت تنتاب بعضهم عن قوة شخصيته ومقدرته المستقبلية على القيادة في موقع الرئاسة بشكل غير مسوغ.

لم تكن تلك المرة الأخيرة التي أساء فيها جورج بوش التصرف حيال ما يثار من لغط. لكن القضايا الآتية لها علاقة بالثقة الشعبية، وبالفشل في التعامل معها في الوقت المناسب بشكل مباشر، وبجرأة؛ وهذا سوف يؤدي إلى شكوك أعظم بكثير وإلى حرب حزبية أكثر تدميراً.

على أي حال، وصلت الانتخابات إلى نهايتها، وكان المرشحان متساويين كما يعلم الجميع، وأدت تلك الانتخابات إلى واحدة من أطول المعارك وأكثرها شراسة في التاريخ الأمريكي.

ذكرياتي حول إعادة عد الأوراق الانتخابية في ولاية فلوريدا، مثل ذكرياتي عن الحملة الانتخابية، هي أشبه بزوبعة – هذه المرة كانت زوبعة من التنقل بين مقاطعة وأخرى عبر

وسط وجنــوب شرق فلوريدا، للإشراف على الجهود المبذولة علــى أرض الواقع، والتأكد من أنها تساعد في وضع الرأي العام بصورة ما يجري، وصياغته بطريقة مُرْضية.

ليلــة الانتخابــات، كان بوش متقدمــاً علــى غــور بفارق يقــترب من ألفــيّ صوت من مجمــوع من أدلوا بأصواتهم والبالغ ستة ملايين ناخــب تقريباً. هذا الفارق الذي لا يكاد يذكــر، أدى بشــكل آلي إلى إعادة فرز للأصوات بموجب قانون ولايــة فلوريدا الانتخابي. كان مندوبــو فلوريدا الانتخابيــين البالغ عددهم خمساً وعشريــن مندوباً هم من سيقرر نتيجــة الانتخابات نظــراً لأن أياً من المرشحيْن لن يحصد الأصــوات اللازمة من دونهم. وبالإضافــة إلى العــد الآلي المتنقل من مقاطعــة إلى مقاطعة أخرى، قــرر القائمون على حملة غور أن يطالبوا بالعد اليدوي في كل صناديق الاقتراع في بعض المقاطعات المختارة؛ وهكذا، أخذت المعركة القانونية حول دستورية وعدالة عملية إعادة فرز أصوات الناخبين وقتاً أطول بكثير مما توقعه الجميع.

في صبيحــة ثاني يــوم من فترة الانتخاب الممدد، ذهبت لحضــور اجتماع إستراتيجية وسائــل الاتصــال لمناقشة الحرب الكلاميــة التي بدأت بين الحملتين. قــال دان بارتليت: «نحــن بحاجــة إلى عدد أكبر من الناطقين الميدانيين في فلوريــدا، هل هناك من يريد أن يتطــوع للقيام بذلــك؟» (إذ إنه بينما كانت حملة غور قد وزعــت أغلب ناطقيها مدفوعي الأجــر في المراكز الرئيسة علــى الصعيد الوطني، أو في مدينــة تالاهاسي، عاصمة ولاية فلوريدا، كان جزء من إستراتيجية اتصالاتنا يهدف إلى توزيع ناطقين مدفوعي الأجر في مقاطعات مختارة ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا).

في الوقت الذي ارتفعت فيه اثنتان من الأيدي، فكّرتُ بيني وبين نفسي كم كنت منهكاً من السفر، وكم كنت متلهفاً ومتطلعاً إلى أخذ قسط مُستَحَقٍّ من الراحة. «لكن بضعة أيام إضافيــة أخرى على الطريق لن تشكل فارقاً كبــيراً»، هذا ما استنتجته في نهاية المطاف، وقمت برفع يدي أيضاً.

بحلــول منتصــف عصر ذلك اليــوم، كنا حفنة من الناطقين على مــتن طائرة خاصة أقلتنــا إلى حيــث تمركزنا في مناطق إستراتيجية مختلفة حــول فلوريدا. لم يكن قد تبقى

في حوزتي إلا النذر اليسير من الثياب النظيفة نظراً لأنه ومنذ نهاية الحملة، لم نتوقف عن السفر، لكنني استطعت أن أصطحب معي بعضاً مما يمكن ارتداؤه. أذكر أنني قلت لنفسي: «عليَّ أن أتحمل انقضاء نهاية الأسبوع هذه فقط. سينتهي كل شيء حينذاك بالتأكيد». لكنني لم أعرف حينها أنني لن أعود إلى أوستن إلا بعد ثلاثة أسابيع، وأن ماراثون إعادة فرز الأصوات سيستغرق ستة وثلاثين يوماً مسبباً الفوضى والتذمر في غرف الأخبار في طول البلاد وعرضها، وقلقاً غير مسبوق عند الملايين من الناخبين.

بدءاً من مقاطعة بينيلاس بالقرب من خليج تامبا، سافرت عبر الجزء الأوسط من الولاية، وصلت بعدها إلى مدينة كيسيمي قرب أورلاندو في نهاية الأسبوع الأول. حينها بدأت الأمور تأخذ شكلاً مثيراً للاهتمام عندما بدأ الفريق العامل في حملة غور باستهداف مقاطعات بروارد، وميامي- ديد، وبالم بيتش، من أجل إجراء إعادة الفرز اليدوي للأصوات؛ وتعد جميع تلك المقاطعات معاقل للديمقراطيين.

أذكر أنني انضممت في مقاطعة بروارد إلى فريق تنظيمي من المتطوعين مكون من مستشارين لبوب تافت حاكم ولاية أوهايو. كانوا هناك للمساعدة من أجل التأكد من تواجد متطوعين من فريق بوش عند الطاولات، ومن أن هؤلاء المتطوعين يعرفون متى يعترضون على أوراق الاقتراع، ومتى لا يعترضون. قمنا بتنسيق جهودنا خارج مكتب رئيس الحزب الجمهوري في المقاطعة إيدي بوزولي الذي كان يساعد في قيادة جهود فريق بوش. كانت عملية إعادة الفرز تتم حسب ما هو مطلوب من الناحية القانونية بسبب التقارب الشديد في نتائج الانتخابات. بقي جورج بوش في المقدمة. كان أي من المعسكرين يستطيع أن يطلب فرز الأصوات يدوياً؛ إلا أن بروارد، مثلها مثل باقي المقاطعات يمكن لها أن تطلب إعادة فرز الأصوات يدوياً فقط بعد إجراء تصويت في مجلس الناخبين التابع للمقاطعة، والمكون عادة من قاضٍ من المقاطعة واثنين من مندوبي المقاطعة. ويفترض بمجلس الناخبين من الناحية التقنية أن يصوت لصالح إعادة فرز الأصوات يدوياً فقط بعد القيام بذلك بشكل أولي في نماذج من الدوائر الانتخابية، وأن يكون هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن أخطاء خطرة قد وقعت لتعليل إصدار مثل هذا الحكم.

بدايةً، صوّتَ مجلس الناخبين في مقاطعة بروارد ضد إعطاء أمر بإعادة فرز الأصوات يدوياً. أقام، المتطوعون الذين أوفدهم الحاكم تافت، وبوزولي، وأنا احتفالاً صغيراً في ذلك اليوم، وذلك لاعتقادنا بأن النتيجة كانت نهائية، ولأننا كنا نعتقد أنه لن يكون هناك أي تغيير. تم إرسالي إلى مقاطعة ميامي- ديد؛ وعند وصولي إلى هناك، وجدت أن فريقاً موفداً من تافت قد وصل إلى هناك أيضاً. صوّتَ المجلس الانتخابي هناك أيضاً ضد إجراء إعادة فرز الأصوات يدوياً. واعتقدنا أن ذلك كان يمثل نصراً آخر. لكننا علمنا فيما بعد أن مجلس ناخبي مقاطعة بروارد غير من اتجاهه تحت ضغط مجموعة من المحامين الديمقراطيين تحت الاختبار المسجلين على قائمة حملة آل غور الانتخابية. فجأة، كان علينا التوجه إلى مدينة لوديرديل في مقاطعة بروارد.

انتقلت عملية إعادة فرز الأصوات إلى موقع أكبر، وهو مركز الأعاصير في مقاطعة بروارد. تم إحضار خمس عشرة أو عشرين طاولة طويلة إلى غرفة كبيرة الحجم بحيث يستطيع المتطوعون من الحزبين الجمهوري والديمقراطي الجلوس إلى هذه الطاولات والتدقيق في الأوراق الانتخابية بصورة مشتركة، الواحدة إثر الأخرى. علم مسؤولو المقاطعة أن أمامهم وقتاً محدداً كي يقوموا بمراجعة هذه الأوراق، ولهذا فقد كانوا يرغبون بإدخال أكبر عد ممكن من الطاولات إلى تلك الغرفة. وإذا حدث واختلف متطوعو الحزب المعارض، الجالسون إلى إحدى الطاولات عن تقويم نية الناخب كما يظهر على ورقة الاقتراع، فإن هذه الورقة ستوضع جانباً من أجل أن تقرر المحكمة المكونة من ثلاثة أعضاء من المندوبين وضع هذه الورقة بواسطة الأغلبية. كان مجلس الناخبين مكوناً من اثنين من الديمقراطيين وجمهوري واحد (يمكنكم أن تعودوا بذاكرتكم إلى صورة المندوب الجمهوري بنظارته المتوضعة على رأسه، وعينيه الجاحظتين محدقاً في ورقة الاقتراع وهو يحملها باتجاه الضوء).

أعتقد أن الوقت كان قد اقترب من منتصف ليل أول يوم من أيام إعادة فرز الأوراق الانتخابية عندما اكتشفنا قضية تدعو إلى القلق - ومادة دسمة لقصة إخبارية. جاء إيد ماكنيللي المحامي الذي كان يعمل في إدارة بوش الأولى (وكذلك في إدارته الثانية)

إلى مقاطعة بروارد للمساعدة في بعض القضايا القانونية. اقترب منا أحد المتطوعين في معسكر بوش بعد أن توقفت عملية إعادة الفرز في ذلك اليوم، وقال: «يوجد شيء هنا، أعتقد أن عليكم أن تروه». مشى بنا باتجاه إحدى الطاولات التي كان يشرف عليها، وأشار إلى أرض الغرفة. كانت أعداد لا يستهان بها من مخلفات أوراق الاقتراع المُثقّبة (وتدعى: تشاد Chad) مبعثرة فوق أرض الغرفة.

وكما أصبح معروفاً لدى العالم في ذلك الشهر، ولأهداف انتخابية، أن مخلفات أوراق الاقتراع المُثقّبة هي عبارة عن قطع صغيرة مستطيلة الشكل من الورق تشبه قصاصات الورق الملونة التي تنثر في المناسبات، وتتشكل عندما يحدث المرء ثقباً في بطاقة مخرمة. يمكن أن تتخذ هذه المخلفات أشكالاً مختلفة؛ فمخلفات أوراق الاقتراع المُعَلّقة تتصل بورقة الاقتراع من واحدة من زواياها الأربع، والمخلفات المتأرجحة تتصل بورقة الاقتراع من زاويتين، أما المخلفات الثلاثية الأبعاد فهي متصلة بها من ثلاث زوايا. وهناك أيضاً المخلفات المنتفخة أو المنبعجة على شكل غمازة يظهر فيه بعض التثلم ربما تسبب به أحد الناخبين الذين كانوا يحاولون الإدلاء بأصواتهم، إلا أن المخلفات بقيت معلقة ومتصلة بالزوايا الأربع. لم أعتقد يوماً أنني سأصبح خبيراً بمخلفات ورقة الاقتراع المثقبة، ولكن انتخابات سنة 2000 جعلت من ظاهرة المخلفات هذه قضية مهمة.

وبينما كنا نحدق في القطع الورقية الصغيرة المبعثرة فوق أرض الغرفة، طلع علينا إيد بفكرة ذكية. قال: «يمكن اعتبار هذه المخلفات دليلاً على وقوع جريمة». فإذا كان الأشخاص المعنيون قد بالغوا في طريقة إمساكهم بورقة الاقتراع، أو تعاملوا معها بشيء من اللا مبالاة، أو - وهذا أسوأ بكثير - إذا تعمدوا تثقيب قطع من الأوراق بهدف تغيير نتائج الانتخابات، فإن ذلك يفسر وجود هذه المخلفات بكثرة على أرض الغرفة.

كان القادة الديمقراطيون المحليون قد غادروا المكان في تلك الليلة. بحثنا عن المسؤول المحلي عن الانتخابات الذي كان ما يزال موجوداً في الوقت الذي كانت فيه صناديق الاقتراع تسحب إلى مكان آمن في غرفة خلفية لها نافذة زجاجية كبيرة عند مدخلها الجانبي. حضر نائب العمدة لحراسة الغرفة. وبناءً على طلبنا، أمر المسؤول عن

الانتخابات بلم المخلفات المرمية على الأرض، وقام بوضعها في مغلف كتب عليه «دليل من مشهد الجريمة».

كان أفـراد حملتنـا ومؤيدونا قد تساءلـوا عن مصداقية إعادة فـرز الأوراق الانتخابية بطريقـة يدوية، باعتبار أن أوراق الاقتراع قد استخدمت مرة ثانية بعد أن تم تمريرها عبر الآلة مرتين. كانت حجتنا أن التلف والتمزق الناجمين عن الاحتكاك المزدوج يمكن أن يغيرا وجهة الصوت الانتخابي، أو يتسببا في سقوط المخلفات. ولدينا الآن دليل يدعم حجتنا.

بعـد التشاور مع إيـد، ذهبت إلى الصحفيين بهدوء صبيحـة اليوم الثاني كي أطلعهم على تطورات الليلة السابقة. سألتهم: «هل سمعتم بما حصل مساء أمس؟» عندما أجابوا بالنفـي، قمت بشرح مـا جرى. قلت: «استـولى مسؤولو الانتخابات علـى كمية كبيرة من المخلفات المتساقطة على الأرض في وقت متأخر من ليلة أمس». تابعت قائلاً: «يجب عليكم أن تسألـوا عـن مغلف، وضعوا تلك الأوراق فيه». كنت أعرف أنه في جو فلوريدا الانتخابي المحموم سنة 2000، سيتصدر الغلاف الممهور بعبارة «دليل من مشهد الجريمة» مختلف وسائل الإعلام.

دعوت إلى عقد مؤتمر صحفي بالتنسيق مع إيدي بوزولي. قام إيدي بعمل عظيم؛ كان يقف خارج المبنى الذي يحمل اسم «مركز الإعصار» بحروف واضحة، وهو يقول: «ضرب إعصـار مخلفات أوراق الاقتراع المثقبـة مقاطعة بروارد ليلة أمـس»، طارحاً أسئلة حول مصداقية عملية إعادة فرز الأصوات يدوياً برمتها.

بعـد يومين علـى ذلك، تم إيفـادي إلى مقاطعة بالم بيتش حيث كانـت عملية إعادة فـرز الأصوات يدوياً على وشك أن تبدأ هناك أيضاً. قمت بأخذ كيس بلاستيكي شفاف مملوء بكمية أكبر من المخلفات المتساقطة على الأرض من الليلة الثانية. رفض مسؤولو الانتخابات استلام كمية أخرى من المخلفات المتساقطة. لذا، فقد قمنا بذلك بأنفسنا، وكتبنا على الكيس عبارة «مخلفات أوراق الاقتراع المتساقطة من مقاطعة بروارد»، وكان عدد نتف الأوراق تلك يربو على المئة، وقد التقطناها من على السجاد والطاولات. رفعت

الكيس بيدي أمام الصحفيين عند وصولي إلى مدينة بالم بيتش، مثيراً أسئلة حول العملية من أساسها.

ظهر مارك راسيكوت، حاكم ولاية مونتانا، ومستشار بوش في برامج الأحد السياسية على شاشات التلفزيون في ذلك الأسبوع. كنت قد أرسلت له، بناء على طلب منه، الكيس الذي يحتوي على المخلفات المتساقطة. وصف محتويات الكيس بأنها «دليل واضح ودامغ» على «لا مصداقية» عملية إعادة الفرز بطريقة يدوية.

شخصياً، كنت أعتبر عملية إعادة فرز الأصوات انتقائية، وغير عادلة، وأحياناً غير منطقية. فالسماح للمجالس الانتخابية التي تسيطر عليها غالبية ديمقراطية بتقرير مصير أوراق اقتراع متنازع عليها بالاستناد إلى ما تعتقد أنها كانت نية الناخب، لم يقنعني مطلقاً بأنه مسلك موضوعي. ففي مقاطعة بالم بيتش حيث كان المجلس الانتخابي يسابق الزمن لإكمال إعادة فرز الأصوات، كان كبير المحامين في حملتنا، جون بولتون (الذي أصبح فيما بعد المندوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة في فترة إدارة بوش الثانية) وفريقه بمن في ذلك، مدعي عام ولاية فلوريدا مارك والاس الموجودين هناك قد ضبطوا المندوب الديمقراطي في المجلس وهو يوجه نواب العمدة لإحضار صناديق انتخابية محددة كي يتم إعادة فرز الأصوات الموجودة فيها. أين المشكلة؟ المشكلة في أنه كان قد تم الاتفاق على أن يتم اختيار الصناديق بطريقة عشوائية، إلا أن هذا المندوب كان يطلب إلى نواب العمدة إحضار صناديق كانت غالبية أصوات الناخبين فيها من الديمقراطيين - وبالتالي كان هذا سيساعد في إضافة أصوات إضافية لآل غور.

بصراحة، أعتقد أن أركان حملة آل غور ارتكبوا خطأ استراتيجياً بسبب عدم دعوتهم إلى إجراء إعادة فرز الأوراق بصورة يدوية في كافة مقاطعات الولاية. كان من الصعب الاعتراض على إجراء مثل هذا الإجراء الذي لا يمكن وصفه إلا بالعادل.

على أي حال، وفرت لنا تلك المخلفات المتساقطة من أوراق الاقتراع المثقبة حججاً عظيمة لطرح تساؤلات حول انتقائية عملية فرز الأوراق بطريقة يدوية وذاتيتها. مع ذلك، استمرت عملية إعادة فرز أوراق الاقتراع لأسبوعين إضافيين. لم يشهد أحد مثل

ذلـك من قبل. بالتأكيد، لم يؤهلني أي شيء في خلفية حياتي السياسية كي أتوقع حدوث مثل هذا الأمر. أتذكر أنني عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي، بقيت مستيقظاً حتى الساعة الثالثة والنصف صباحاً أتابع نتائج الانتخابات التي فازت فيها والدتي بمنصب المحافـظ بأكثر نتائـج الانتخابات تقارباً في تاريخ مدينة أوستن. كان ذلك يشكل خروجاً نـادراً عن المألوف بالنسبة لي. (فازت والدتي في عملية إعادة انتخابها بفارق هو الأكبر في تاريخ المدينة).

في اليوم الحادي والعشرين لمحنة إعادة فرز الأوراق، تم منحي إجازة أسافر فيها إلى المنـزل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. وفي الوقت الذي كنـت أنتظر اتصالاً يفيد بالحاجة إلى عودتـي إلى فلوريـدا، اتصل بـي آري فليشر، الذي كانت قد تمـت تسميته سكرتيراً صحفياً للمرحلة الانتقالية، من واشنطن وعرض علي منصب نائب السكرتير الصحفي للمرحلـة الانتقالية. عرض عليّ أن أكون نائبـه الأول إذا بقيت نتائج فلوريدا لصالحنا. قبلت العرض بسرعة.

وهكذا، فبدلاً من العودة إلى ولاية فلوريدا، توجهت إلى واشنطن لأبدأ العمل مع فريق المرحلـة الانتقالية. كان لدينا مقر مؤقت تم تجهيزه سلفاً وضع بتصرفنا إلى حين إعلان فوز بوش بمنصب الرئاسة بصورة رسمية، وتخصيص مقر حكومي بالإضافة إلى التمويل اللازم من إدارة الخدمات العامة في واشنطن.

تحـول تركيـزي بسرعة إلى مساعـدة آري في الإدارة الصحفيـة ومعالجة العديد من القضايـا المتعلقـة بالمرحلـة الانتقالية. عندما صادقـتِ كاثرين هاريـس أمينة سر ولاية فلوريدا على إعلان فوز بوش بولاية فلوريدا، كان ديك تشيني قد بدأ الإشراف على عملية انتقـال السلطة من مقر مؤقت قرب منزلـه في مدينة ماكلين بولاية فيرجينيا، على تخوم واشنطـن. طلـب بشكل رسمي قيـام إدارة الخدمـات العامة بتسليم المفاتيـح إلى مكتب المرحلـة الانتقالية الحكومي قرب البيت الأبيض. لكـن إدارة الخدمات العامة التي كانت تحت سلطة البيت الأبيض، رفضت هذا الطلب. ولم يُسعِد هذا الرفض تشيني.

في الثـاني عشر من شهر كانـون الأول، ديسمبر، وبعد أن اتخذت المحكمة العليا قرارها المثير للجدل والقاضي بوضع نهاية لعملية إعادة فرز أوراق الاقتراع في ولاية فلوريدا، مبددة

بذلـك جميع الأسئلة حول النتائج، دعـت إدارة الخدمات العامة نائب الرئيس المنتخب إلى مناسبة صحفية في مكتب المرحلة الانتقالية. ولكن بما أنه كان ما يزال في فورة من الغضب بسبـب الصفعة التـي تلقاها من قبل، طلب تشينـي من آري إرسال موظـف أدنى مرتبة - وكنـت أنـا ذلك الموظف - لاستـلام المفاتيح. كان الهـدف من ذلك إيصـال رسالة لإدارة الخدمات العامة.

لم تكـن لـديّ أدنى فكرة حول طبيعـة العمل الذي كنت سأقوم بـه. عندما وصلت إلى مكتـب المرحلة الانتقاليـة، تم اصطحابي في جولـة قصيرة، قمت بعدهـا بتسلم المفاتيح أمام حشد مـن الكاميرات التلفزيونية والثابتة. وبالرغم مـن أن الصحفيين المحتشدين كانـوا يتوقعون سماع كلمة مني، فإنني لم أقل سوى عبـارة: «شكراً لكم». أعتقد أن إدارة الخدمات العامة التقطت رسالة تشيني، وبدأ المسؤولون عنها منذ ذلك الحين القيام بكل ما يلزم لتعويض تشيني عن الإزعاج الذي تسببوا به له.

بعدها بأيام قليلة، كنت أقف في مكتبي الجديد وراء غرفة اللقاءات الصحفية — وهو مقـر خـالٍ إلا من اثنتين مـن الكراسي وجهـاز كومبيوتر. حدث كل ذلـك بسرعة كبيرة لدرجـة أنـه لم يتسنّ لي الوقت لاستيعـاب الحقيقة المدهشة أننـي الآن أعمل لدى رئيس الأمة الثالث والأربعين في الجناح الغربي من البيت الأبيض.

❋ ❋ ❋

عمومـاً، قام بوش وأركان حملته بعمل جيد تمثـل في توضيح صورته أمام الرأي العام، والبدء في عملية تغيير صورة الحزب الجمهوري على الصعيد الوطني. تم انتخاب بوش بناء على خطة عمل واضحة - خفض الضرائب، وإصلاح التعليم، وتقوية الضمان الاجتماعي، وسياسـة دفاعية قوية، بالإضافة إلى تطويـر القوات المسلحة. كما تم انتخابه استناداً إلى صـورة شعبية واضحـة كنموذج مختلف مـن الجمهوريين - «محافظ عطـوف» قادر على فهـم احتياجـات ومصالح الطبقة الوسطـى، والطبقة العاملة، والطبقـة الفقيرة، ومهتم بتحقيقها، كما أنه جاهز للطلب إلى الحكومة التدخل لتحقيق ذلك إذا لزمت الحاجة.

وفي الوقـت الذي استلم بوش زمام السلطة - مدعوماً بشعور الارتياح الذي ساد الأمة بعـد الانتهاء من العملية الانتخابية الطويلة، وأيضاً بخطـاب غور الراقي الذي أعلن فيه

قبوله بقرار المحكمة – قطع بوش على نفسه عهداً بأنه سيقود الأمة إلى بداية جديدة بعد موسم ساده التهكم. كانت نيته على ما يبدو، أن يقوم بمد يده عبر الممر كما فعل في تكساس كي يؤسس لروابط من التعاون مع الديمقراطيين في الكونغرس، والأماكن الأخرى لتحقيق الأهداف التي يرنو إليها جميع الأمريكيين. وكانت الأيام الحافلة بالفضائح والمعارك الحزبية في واشنطن تشرف على نهايتها – أو هذا ما كنت أعتقده.

الأحداث التي وقعت في الشهور والسنين التي تلت، سوف تضع على المحك صدق نوايا بوش في إنهاء التجاوزات التي سببها عصر الصراعات الدائمة، وأيضاً عمق الالتزام الذي قطعه على نفسه في أن كل عضو من أعضاء إدارته سيكون ملتزماً بالمعايير الأخلاقية العالية.

obeikandl.com